كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثالثة فنون درامية/ السداسي الخامس

مقياس: نقد مسرحي حديث ومعاصر

المحاضرة رقم 02 بعنوان:
"فهم النقد بناء على قراءة المذاهب المسرحية"

تميز القرن العشرون بظهور العديد من الحركات الفنية التجريبية التي لم تقتصر على نوع معين من أنواع الإبداع الفني وإنما شملت جميع أوجه النشاط الإبداعي الخلاق، ومن ثم الأخذ بمحاولة التعريف بالتيارات والمذاهب الفنية الأساسية التي برزت وساهمت مساهمة أساسية في بلورة الحساسية الفنية وأساليب الابداع الفني في مجال النقد والدراما. وعليه، وجب التأكيد على حقيقة هامة تتصل بالنقد المسرحي، مفادها أنه لا يمكن أن يتم للناقد صلاحية الحقة لممارسة عمله في نقد المسرحية، إلا إذا كان على دراية بكل هذه المراحل المختلفة التي مرت بها المذاهب أو المدارس المسرحية منذ اليونان القدماء إلى يومنا هذا.

إذا ما نظرنا إلى المسرح في وقتنا الحاضر، نجده يستعمل المذاهب المختلفة جميعا في تقديم العروض المسرحية، وتنقسم المذاهب المسرحية إلى مرحلتين مذاهب قديمة ومذاهب حديثة:

1. المذاهب القديمة:

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- المذهب الديني:

ظهر في العصر الفرعوني وأوائل العصر الاغريقي ثم ظهر في العصور الوسطى ويعتمد على التعاليم والطقوس الدينية.

- المذهب الكلاسيكي:

ظهر في العصر الاغريقي ويعتمد على المبالغة والمغالاة، ويهتم بالوحدات الثلاث: المكان، الزمان، الموضوع، اهتم هذا المذهب بدراسة لكل محتويات كتاب فن الشعر لأرسطو وما يتصل بالمسرح والمسرحية، كما خصص النموذج الفعلي لظهور التراجيديا (مسرحية الأورستيه لأسخيلوس، أوديب ملكا لسفوكليس، مأساة هيبوليت ليوربيديس) والكوميديا (مسرحية الضفادع لأرستوفان، التوأمان لبلوتس، والشقيان لتيرانس). ومن سماته: اللغة الرصينة، شخصيات نبيلة، بناء الدرامي (بداية، وسط، نهاية، الوحدات الثلاث، النقاء الدرامي.

- المذهب الكلاسيكي الحديث:

ظهر في عصر النهضة ويعتمد المذهب الكلاسيكي مع التطوير والتجديد اللذين ظهرا في عصر النهضة، ومن أصحاب هذا المذهب نجد كلا من الشاعر المسرحي الفرنسي 'بيير كورني' وكذا الشاعر المسرحي 'جان راسين'، ويمتاز المذهب الكلاسيكي الحديث بالسمات الآتية:

محاكاة قدامى اليونان في مسرحياتهم من حيث الشكل، أهمها:

_ إباحة وجود عقدة قانونية أو أكثر، بشرط ألا يضعف ذلك من العقدة الأساسية وألا تشوه وحدة الفعل.

_ لا بأس من اتساع وحدة الزمان، فلا تقف عند الدورة الشمسية كما قال أرسطو، بل قد تمتد إلى ثلاث

دورات، أي ثلاث أيام، وإن راسين ينزل بمدة العرض الأحداث الممثلة إلى ما يكاد يزيد عن ساعتين أو ثلاث لو جرت هذه الأحداث في الحياة الواقعية.

_ لا بأس أيضا من أن يمتد نطاق وحدة المكان بحيث يشمل مدينة بأسرها أو قصرا بأكمله، بحيث إذا تغير المكان لم يخرج عن حدود المدينة أو حدود القصر الذي تقع فيه الأحداث.

_الإبقاء عن عصامية الشخصيات، ولكن لا مانع من اتخاذ الوصيفات والأصدقاء في أدوار لا تعد أدوارا تافهة.

_الإبقاء على الأسلوب الأرستقراطي على أن يكون أسلوبا واضحا سليما وشاعريا مع ذلك.

الكلاسيكية الحديثة لا تعرف الكورس ولا الأناشيد.

_ إحلال الحب والأهواء النفس محل القضاء والقدر عند اليونانيين كمحور تدور حوله أحداث الرواية.

2. المذاهب الحديثة:

ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر، واستمرت حتى هذا العصر، وهي دائمة التحول لا تسير بشكل واحد أو تدور حول نقطة معينة، وإنما تتميز بقابليتها للتطور والتغير في التقاليد واستجابتها للتقدم العلمي والصناعي ومحاولة كشف عالم الغيب وكذلك نتائج الحروب الذي عانى منها الكثير والتعقيد الذي سببه عدم الاستقرار والثروات الاجتماعية والتيارات السياسية مما ساعد على بروز مدارس فنية متنوعة.

- المذهب الرومانسي:

تعتمد نظرتهم على مهاجمة قانون الوحدات الثلاث والأسس التي سادت لفترة طويلة من الزمن، فشكسبير يجمع العقدة الأساسية من كل مسرحية من مسرحياته أكثر من عقدة مسرحية، وهو لا يقتصر على قصة أو حكاية واحدة تتسلط عليها جميع الأضواء كما يصنع الكلاسيكيون، بل هو يحشد في كل مسرحية من مسرحياته قصصا شتى وحكايات ثانوية ينظم منها كلمات تقدم الفعل عقدا رائعا حافلا، لا تمل العين من رؤيته والنظر إليه والتمتع به. ومن أشهر الكتاب المسرحيين نجد كلا من 'كريستوفر مالو' 'زويلام'،

'وليام شكسبير'، الذين حطموا قيود الكلاسيكية وجعلوا المسرحية لا تخضع لغير قانون الحس والذوق والعاطفة دون تكلف أو تلفيق، فكان من سمات المذهب الرومانسي:

_إلغاء الوحدات الثلاث.

_التداخل بين التراجيديا والكوميديا.

_ الاهتمام بعنصر الطبيعة.

_ سمو العاطفة والخيال عند الإنسان.

بينما يتميز هذا المذهب بثلاث اتجاهات: واقعية التاريخ، الواقعية الطبيعية، واقعية الطبيعية البرية (الواقعية الطبيعية البرية: كانوا مكتئبين ومتشائمين، ومن ثم وصف حالة البؤس والكآبة في الحياة الإنسانية، أما عن الواقعية الطبيعية: فكانوا متفائلين).

- المذهب الواقعي:

جاء عكس المذهب الطبيعي الذي اهتم بالنقل الحرفي والمطابقة لما هو كائن في الحياة، والذي ينتقل أيضا الواقع على المسرح نقلا فوتوغرافيا، أما عن المذهب الواقعي فيختار ما يقدمه الواقع بقصد إعطائه شكلا توضيحيا على المسرح، من أعلام هذا الاتجاه 'جوستاف فلوبير'، 'أونوريه دي بالزاك'.

فإذا انتقلنا إلى الشخصية الواقعية نجد أمام نوع من الشخوص لا يصور الكلي العام ولا المثالي النادر، وإنما يمثل الجزئي، ففي الشخصية الواقعية تتجمع نسب متكاملة ومتعادلة بين الكلي والجزئي والنادر، إلا أنها جزئية في النهاية تعطي ملاح الواقع المرتبط بقطاع معين من مجتمع أو بخصال إنسان، مرتبط في تكوينه بأفكار وقيم وسلوك نابعة من بيئة معينة ووليدة بناء اجتماعي خاص.

كما أن دراسة ناقد المسرحية لتاريخ الفكري البشري والآداب الإنسانية الكبرى، عنصر أساسي وهام، فإن مثل هذه الدراسة كفيلة إذا تحققت أن تكون هادية للناقد، فعلى أساس منها يستطيع أن يفرق بين الواقعية التي ظهرت منذ أقدم العصور والواقعية التي سادت آداب القرن التاسع عشر، ثم بين كل هذا وبين

الاتجاهات الواقعية المعاصرة من عبثية ووجودية وغيرها. بينما أن الواقعية من المذاهب الفلسفية الكبرى فإنها قائمة على نظرة محددة للإنسان، إنها رؤية معينة للحياة، وعلى الرغم من أن هناك علاقة إيجابية بين اشتقاق الكلمة اللغوي وبين مفهومها أو مدلولها الأدبي أو الاصطلاحي، وعلى الرغم من أن إحدى سمات الواقعية أنها تهتم بالواقع وتسعى إلى الكشف عن تصويره والتبصر في خفاياه، فإن مفهوم الواقعية مرتبط ارتباطا أساسيا بنظرة فلسفية معينة للحياة والانسان.

وعليه، فإن الواقعية وفهمها في نهاية القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين، ليست مجرد اتجاه ينقل الواقع أو يعالج مشاكل المجتمع، أو يرشد إلى وسيلة من وسائل إصلاحه، وإنما هي تفسير معين للحياة، ونظرة محددة لحقيقة الإنسان في هذا العالم.

- المذهب الرمزي:

يرجع أصل الإصطلاح إلى كلمة يونانية التي تعني 'شعار' أو 'رمز'، وبوجه عام تعتبر الرمزية بمثابة رد فعل أو تمرد على المذاهب التي كانت سائدة إبان النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وهي الواقعية والطبيعية والعقلية والتجريبية، وهناك اتجاهات متعددة داخل المذهب الرمزي، منها الاتجاه المثالي الذي يهدف إلى تصوير الموجودات المادية عن طريق الصور الفكرية، أي يجرد ما هو ملموس، كما يهدف إلى إظهار الجمال الكامن وسط جزئيات الحياة التي تبدو لنا بسبب غياب هذا الجمال في صورة غير مكتملة، ومنها الاتجاه الروحاني الذي يهدف إلى تصوير العناصر الروحانية في الكون، على اعتبار أنها أساس الحقيقة والذي يعتبر أن الحقيقة كامنة في الدين.

أما في المسرح الرمزي فقد تبلور على أيدي 'موريس ميترلنك' و'وليام بيتس' و'سترندبرج' من ناحية، وعلى أيدي' إبسن' و'سينج' من ناحية أخرى، حيث يوضح التيارين الأساسين في النظرية الرمزية:

_ التيار الأول يعكس الاعتقاد بأن العالم المحسوس ما هو إلا ستار يحجب الغيب ويجب اختراقه، وعادة ما يترجم هذا الاعتقاد دراميا عن طريق إلغاء المستوى الواقعي للحدث، بحيث يقترب العمل الدرامي من القصيدة الشعرية.

_والتيار الثاني: يعكس الاعتقاد بأن العالم الواقعي المادي هو تجسيد رمزي لعالم الغيبيات، أي أن عالم الروح وعالم المادة يتداخلان، والترجمة الدرامية لهذه الفكرة تتخذ صورة الحفاظ على المستوى الواقعي مع إعطائه بعدا روحيا أو رمزيا. فكان من سمات المسرح الرمزي:

_الافتقار إلى التسلسل والتتابع في الأحداث، بل نجدها متقطعة ومتفرقة، حيث تعتمد على فكرة رمزية محورية وتنتهي في معظم الأحيان بنهاية مأساوية أليمة.

_عادة تكون الأماكن التي تدور فيها الأحداث عبارة عن قصور غامضة أو غابات ملفوفة بالسحر ويغلبه عليها الخيال.

_التركيز على فكرة الموت والسعادة والحب في المسرح الرمزي.

_ الاعتماد على الإيقاع والاضاءة لإبراز لحظات الصمت البليغة والظلال الموحية التي تساعد على تجسيد المعاني.

- المذهب الطبيعي:

اعتبرت الطبيعية كتبار أدبي وفني ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى السنوات العشر الأولى من القرن العشرين، فكان تأثيرها مقتصرا على الأدب والفن، فنشأت الطبيعية في استناد إلى النظرة الفلسفية للمذهب الطبيعي على يد رائد الطبيعيين 'إميل زولا'، وفي حرص شديد على العناصر التالية:

_ واجب الأدب الطبيعي هو تصوير الحياة بالتمام.

_ إنتاج الأدب دون محركات أو بواعث قصصية.

_ القضاء على البطل في العمل الأدبي.

_ البعد عن العواطف والمعاناة.

_ الكاتب الطبيعي مطالب بأن يحد من الخيال لديه.

بينما يجد رواد المذهب الطبيعي، مؤيدين آمنوا بنظرياتها في مختلف الفروع الأدبية والتخصصات الفنية في الأدب فنجد: الأخوان جونكور، هاوبتمان، سترندبرج، إبسن، جوركي، ديستوفسكي، ليو تلستوي، وجي دي موباسان.

أما في الإخراج المسرحي فبرز مخرجين طبيعيين: كأندريه أنطوان، وقسطنتين ستنسلافسكي، وأوتو براهام.

قدم المذهب الطبيعي الواقع الملموس كما هو على خشبة المسرح بجماله وقيمه بدون تغيير أو تبديل، فظهر قويا مستمدا من الواقع المحيط بالإنسان وتصوير الطبيعية، فهذا المذهب تتغلب فيه الحقيقة على كل من العقل والتفكير، فالكاتب الطبيعي يقتصر على تصوير الحقيقة المجردة وكشف بواطنها كشفا لا يحفل بالخجل أو الحياء أو التقليد، وهو لا يسمح لتفكيره مطلقا بالتدخل في شأن هذا التصوير.

أرجع الطبيعيون واقع الإنسان إلى طبيعته العضوية وغرائزه وحاجات هذه الغرائز، وأنصف جهدهم كله إلى الكشف عن هذه الحقيقة، التي هي في نظرهم المصدر الأساسي لواقع الإنسان تفكيرا وسلوكا.

كما يحدد الناقد في المذهب الطبيعي لدراسة المسرحية موقفا يتفق وطبيعة هذا المذهب فلا يخلط بينه وبين المذاهب الواقعية الأخرى، كون على الوعي بمدى تأثير هذا المذهب وطغيانه على العمل الفنين، ومدى ما يكون له من دلالات على العمر وعلى منحى التفكير والهدف الذي يسعى إليه الكاتب المسرحي.

- المذهب التعبيري:

منذ أن فاجأ فرويد العالم بنظرياته العجيبة في علم النفس الحديث، ومنذ أن أخذ يستكشف مجاهل العقل الباطن ومدى تحكمه في تصرفات الإنسان بما يختزنه من التجارب والانطباعات، التي ترجع إلى عشرات

الآلاف من السنين، بالإضافة ما يختزنه من تجارب الماضي القريب وانطباعاته، شرع الكتاب المسرحيون يطبقون نظرياتهم التي آمنو بها لما كشفت من أسرار النفس الإنسانية وما أظهرت من خفايا، فنجد المذهب التعبيري الذي اهتم إلى حد في اشتمال المسرحية التعبيرية على شخصية رئيسية واحدة تعاني أزمة روحية أو ذهنية أو نفسية، فلا تكاد ترى في المسرحية التعبيرية إلا هذه الشخصية الرئيسية، أما ما عداها من الشخصيات فتبدو لنا أشبه بشخوص الأحلام وغير محددة المعالم.

_المذهب التعبيري برفض مبدأ المحاكاة الأرسطية ويحل محلها مبدأ عن مشاعر الفنان في تناقضها وصراعاتها، ويتخذ من هذه الرؤى الذاتية والحالات النفسية موضوعا مشروعا للإبداع الفني.

_ لا بأس أن يكون مشهد من المسرحية التعبيرية من مشاهد الحياة الواقعية، وذلك لتسيير الدخول في الموضوع وعرض العقدة النفسية التي سينطلق منها البطل كالرصاصة ليندفع في المناظر الكثيرة التالية إلى مصيره.

_ لما كان الهدف من المسرحية التعبيرية هو تصوير دخيلة النفس وتجسيم تجارب العقل الباطن، فليس مهما تصوير المظاهر الخارجية المحتملة الوقوع.

_يجب أن تكون شخصيات الروتينية التعبيرية 'نماذج types'، لا أفرادا عاديين، ومن ثم يسمون بأسماء رمزية أو ندعوهم بالرجل أو المرأة، أو مستر zero أو مستر رقم واحد، أو الشاعر أو الشرطي..إلخ.

_يجب أن تكون اللغة مقتضبة، وأن تكون لغة سريعة تلغرافية، لا شيء فيها من البهارج والزخارف البلاغية، بل يحن أن تكون لغة دارجة في معظم الأحيان حتى تبتعد عن تعمل اللغة الرسمية، والتي لا يستعملها الناس في تفكيرهم الخاص، وأن يكثر فيها التكرار والجرس الغنائي.

_ أن يكون التمثيل سريعا شديد التحدر، مهوشا، خياليا، مصحوبا بالموسيقى والأصوات الرمزية، حافلا بالحيل المسرحية كالأقنعة والملابس الغريبة والإضاءة التي تثير الخيال.

_لا يمكن بالأساس لكاتب المسرحية التعبيرية من التفلسف والتحليل والتعليل والتعليق، وإظهار شخصيته على ألسنة الشخصيات كما يفعل الكتاب الواقعيون.

_ أما على مستوى الإخراج، فإن المسرحية التعبيرية فهي أحسن وسيلة لتصوير دخائن النفس الإنسانية تصويرا مسرحيا، وهو بحاجة إلى جمهور مثقف له دراية بالدراسات النفسية.

- المذهب السريالي:

ابتعد هذا المذهب عن التصوير الحقيقي للأشياء واتخذ العقل الباطن أو اللاشعور كمصدر إيحاء له، وساعد على التنفيس عن المكبوتات اللاشعور وإيقاظ ما تتميز به الطفولة من خيال، وعليه أتت رؤية العالم لفهم الظواهر التي تعترض نطاقه على أساس افتقاره للمنطق، وهي فلسفة اصطلح عليها بفلسفة الباتافيزيقية التي كان لها تأثير كبير على مسرح العبث، ويصفها الكاتب 'ألفريد جاري' بأنها العلم الذي شرح منطقة ما بعد الميتافيزيقية، إنها علم الحلول المتصورة أو الخيالية، ومن خلالها نصل إلى مستوى آخر من مستويات الوجود، ونحقق وعيا لا يمكن تحقيقه، وبها نصل إلى قوانين التي تحكم العوارض والاستثناءات في الكون بحيث نكشف العالم الذي يكمل عالمنا التقليدي، وهي حالة من الاستثناء التي تخالف نظريات الفلسفية بمخالفة لكل قوانين المتعارف عليها.

تتأسس معالم ظهور المسرح الطليعي في بناء مسرح جديد، وفي تجدده المستمر الذي يكمن في وجوده ضمن مسرح مناهض للأشكال المسرحية التقليدية، شريطة بأسلوب ساخر يعطي للروح الإنسانية وجودا على الحياة، فمسرح الطليعي هو مسرح الأحداث والشخصيات التي تكون نسيج الحلم هي بشكل ما مربوط بعضهما ببعض بخط يبدو لنا في وعينا أنه لا منطقي أو غير معقول، ولكنه يعبر عن فكرة معينة أو عاطفة معينة، فهي تعكس ثورة ضد المجتمع وضد الأشكال المسرحية التي سادت عند 'ألفريد جاري' ، الذي يعتبر عن وجود نقيض للحياة وعالم مضاد يسوده فوضى في القيم.

فالنقد في سياق العمل السريالي، هو الدعوة إلى إطلاق العنان للفكر والذهن تماما وعدم تقييده بقواعد وغايات معينة، وترى أن ذلك كفيل بتخليص الذهن من جميع الأنماط الآلية المفروضة عليه، وإعادة الحركة الذاتية الحرة إلى النفس.

المكتبة البيبليوغرافية:

- دريني خشبة: أشهر المذاهب المسرحية.
- دومينيك فولشيد، المذاهب الفلسفية الكبرى.
- نهاد صليحة: المدارس المسرحية.